



الموحدانية

لعلك توافقني قارئ العزيز أن معرفتنا بالرب الإله لا يمكن أن تكون من نتاج العقل البشري ، ولو إعتقدنا يوماً أننا قد عرفنا الله بعقولنا، فحتماً سنكتشف ضالة هذا الإله الذي استطاعت عقولنا المحدودة أن تحتويه.

إذاً كيف نعرفه - تبارك اسمه - وكيف تكون لنا علاقة حقيقية معه، إلما بإستقبال إعلانه عن ذاته.

وكيف نتواصل معه ونستقبل إعلانه العظيم عن ذاته، بدون الإيمان،

الإيمان الذي لا يتعارض مع العقل ولكنه يسمو فوقه. الإيمان الذي به نفهم (عبرانيين 11: 3

فالملة هو النور الذي لا نراه إلما بنوره، نور الأعلان الذي نقبله بالإيمان

ولقد تفضل الله وتنازل ليتكلم إلينا معلناً ذاته، فوحدانية الله ونوع الموحدانية التي تليق به لهي من الحقائق الأولية في الإعلان الإلهي،

وهي الحقيقة التي لا بد أن يسلم بها كل عاقل ذو منطق وذوق سليم.

فالتعدد في الكائنات لازمٌ حيث الضعف وعدم البقاء، وأما الكمال والسرمدية في الله فيقتضي الموحدانية، حيث عدم المحدودية في القدرة والعلم، والسيادة والسلطان والمتواجد

ولقد اعلن الله في كتابه المقدس حقيقة أنه الواحد الذي لا اله غيره.

ففي العهد القديم نقرأ في سفر التثنية:

("إِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ". (تثنية 6: 4)

وفي سفر أشعيا: [هَذَا يَقُولُ الرَّبُّ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ وَفَادِيهِ رَبُّ الْجُنُودِ: «أَنَا الْمَوْلُودُ وَأَنَا الْآخِرُ وَلَا إِلَهَ غَيْرِي. (أشعيا 44: 6)

وأيضاً: [أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ. لَا إِلَهَ سِوَايَ.. (أشعيا 45: 5)

أَخْبِرُوا. قَدِمُوا. وَلْيَتَشَاوَرُوا مَعًا. مَنْ أَعْلَمَ بِهِذِهِ مَنْ ذَا الْقَدِيمِ أَخْبَرَ بِهِ مَنْ ذُكِرَ مَنْ؟ أَلَيْسَ أَنَّ الرَّبَّ وَلَنَا إِلَهَ آخَرَ غَيْرِي؟ إِلَهَ بَارٍّ وَمَخْلُصٍ. لَيْسَ سِوَايَ. أَلِتَفَتُوا إِلَيَّ وَأَخْلَصُوا يَا جَمِيعَ أَقْصَى الْأَرْضِ لِأَنِّي أَنَا إِلَهُ وَلَيْسَ آخَرُ. (أشعيا 45: 21-22)

وفي العهد الجديد نقرأ في الأناجيل :

فَجَاءَ وَاحِدٌ مِنَ الْكَتَبَةِ وَسَمِعَهُمْ يَتَحَاوَرُونَ فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ أَجَابَهُمْ حَسَنًا سَأَلَهُ: «أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ أَوَّلُ الْكُلِّ؟» [فَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمِعْ يَا إِسْرَائِيلَ. الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ [وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك. هذه هي الوصية الأولى. (مرقس 12: 29-30)

وهنا يصادق المسيح على كتب العهد القديم و على إعلان الموحدانية فيها.

وأيضاً في الرسائل يقرر الرسول بولس بالروح القدس:

لأنَّ اللهَ واحِدٌ هُوَ الَّذِي سَيَبَرُّ الرُّخْتَانِ بِالإِيمَانِ وَالْغُرْلَةَ بِالإِيمَانِ. (رومية 3: 30)

رَبِّ واحِدٌ، إِيْمَانٌ واحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ واحِدَةٌ، إِلَهٌ وَابٌّ واحِدٌ لِلكُلِّ. (أفسس 4: 5-6)

لأنَّه يُوجَدُ إِلَهٌ واحِدٌ وَوَسِيْطٌ واحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ: الْمِنْسَانُ يُسَوِّعُ الْمَسِيْحُ، (1 تيموثاوس 2: 5)

ويقرر يعقوب في رسالته:

أَنْتَ تَؤْمِنُ أَنَّ الْمَلَّةَ واحِدٌ. حَسَنًا تَفْعَلُ. وَالْمَشَّيْطَانُ يُؤْمِنُ وَيَقْشَعِرُونَ!

(يعقوب 2: 19)

نوع وحدانية الله

لكن أي نوع من الموحدانية هي وحدانية الله؟ هل هي وحدانية مجردة، تجرد الله من صفاته -وقد عظممت وتجلت ودلت على حقيقة وجوده؟

أم وحدانية مطلقة؟

و لو كان كذلك فثمة سؤال يفرض نفسه: ما الذي كان يفعله الله الواحد الأزلي قبل خلق السماء والأرض والملائكة والبشر؟ إن لم يكن أحد سواه، هل كان يتكلم ويسمع ويحب؟ أم كان صامتاً وفي حالة سكون؟

إن قلنا أنه لم يكن يتكلم ويسمع ويحب، إذاً فقد طرأ تغيير على الله - لأنه قد تكلم إلى الآباء بالأنبياء، □ □ □ وهو اليوم سامع الصلاة إذ هو السميع المجيب،

كما أنه يحب إذ أنه المودود.

نعم إن قلنا إنه كان ساكناً لا يتكلم ولما يسمع ولما يحب ثم تكلم وسمع وأحب فقد تغيّر؛ والله جل جلاله منزّه عن التغيير والتطور.

إنها حقاً معضلة حيرت المفكرين و الفلاسفة، وجعلتهم يفضلون عدم الخوض فيها. فكيف لعقولهم المحدودة أن تسبر أغوارها أو أن تعرف جوهر الله. أما الكتاب المقدس، وهو إعلان الله عن ذاته، فلقد عرفنا منه ما خفي على كل فلاسفة البشر وحكمائهم، وهو أن وحدانية الله ليست وحدانية مجردة أو مطلقة. بل هي وحدانية جامعة مانعة -

جامعة لكل ما هو لازم لها، ومانعة لكل ما عداه.

لكن كيف عرفنا وحدانية الله الجامعة؟

يتكلم الكتاب عن الله تارة بأسلوب المفرد لأن الله واحد، ومرة بأسلوب الجمع لأن وحدانيته جامعة، ولا يخفى علينا أن الجمع ليس للتعظيم، وإلا لما تكلم الكتاب عن الله بالمفرد إطلاقاً.

ففي العهد القديم نقرأ:

(تكوين 1: 26) □ وقال الله: «نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا لِكَشَبِهِ».

(تكوين 3: 22) وَقَالَ الرَّبُّ الْمَلَكُ: «هَذَا الْمَآنُ سَآنُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِّنَا عَارِفَا الْخَيْرِ وَالْمَشَرِّ».

(تكوين 11: 7) هَلُمُّنَا نَنْزِلْ وَنُبَلِّبْ هَذَا لِسَانَهُمْ حَتَّى لَا يَسْمَعُوا بَعْضُهُمْ لِسَانَ بَعْضٍ».

(أشعيا 6: 8) ثُمَّ سَمِعْتُ صَوْتَ الْمَسِيِّدِ: «مَنْ أَرْسِلُ وَمَنْ يَذْهَبُ مِنِّي أَجْلِنَا؟» فَأَجَبْتُ: «هَيْئَذَا أَرْسِلْنِي».

و في العهد الجديد نقرأ:

(يوحنا 3: 11) أَلَمْ يَحَقِّقْ أَحَدٌ قَوْلِي لَكَ: إِنَّنَا إِنَّمَا نَتَكَلَّمُ بِمَا نَعْلَمُ وَنَشْهَدُ بِمَا رَأَيْنَا وَلَسْتُ تَقْبَلُونَنَّا شَهَادَتَنَا.

لكن ماذا تجمع وحدانية الله؟ أنها تجمع كل مستلزمات الملوحيية، كل ما يلزم قيام كائن إلهي. جامعة لإقنايم اللاهوت، فالمكتاب يعلن أن الله واحد في ثلاث أقنايم. وكلمة أقنوم، ليست كلمة عربية، بل سريانية، تدل على "من له تمييز" عن سواه بغير انفصال عنه".

وهكذا أقنايم اللاهوت؛ فكل أقنوم، مع أن له تمييز عن الأقنوميين الآخرين، لكنه غير منفصل عنهما.. وبذلك كان يمارس الله صفاته في الأزل بين أقنايمه فهو منذ الأزل وإلى الأبد كلهم وسميع، محب ومحبوب، ناظر ومنظور... دون أن يكون هناك شريك معه، ودون احتياجه. جلّت عظمتة. إلى شيء أو شخص في الوجود لإظهار تلك الصفات، إذ أنه - نظراً لكمالته - مكتفٍ في ذاته بذاته.

لكن لكي نتأكد أن إعلان الله الواحد في ثلاث أقنايمه هو إعلان أصيل، دعنا نسأل: هل هناك ذكر للأقنايم في العهد القديم؟  
الإجابة نعم فعن الآب والمابن نقرأ:

(مزمور 2: 7-12)

إِنِّي أَخْبَرُ مِنْ جِهَةِ قَضَاءِ الرَّبِّ. قَالَ لِي: أَنْتَ ابْنِي. أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ.

اعْبُدُوا الرَّبَّ بِخَوْفٍ وَاهْتَفُوا بِرَعْدَةٍ.

قَبِّلُوا الْمَابِنَ لِيَّ لَا يَغْضَبَ فَتَبِيدُوا مِنَ الطَّرِيقِ. لَأَنَّهُ عَنْ قَلِيلٍ يَتَقَدُّ غَضَبُهُ. طُوبَى لِّجَمِيعِ الْمُتَكَلِّينَ عَلَيَّ.

(أمثال 4: 30)

مَنْ صَعِدَ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَنَزَلَ؟ مَنْ جَمَعَ الرِّيحَ فِي حُفْنَتَيْهِ؟ مَنْ صَرَّ الْمِيَاهَ فِي ثَوْبٍ؟ مَنْ ثَبَّتَ جَمِيعَ أَطْرَافِ الْمَأْرُضِ؟ مَا اسْمُهُ وَمَا اسْمُ ابْنِهِ إِنْ عَرَفْتُمْ؟

و عن الروح القدس بإعتباره الله :

(أيوب 4: 33) رُوحُ اللَّهِ صَنَعَ نِيَّ وَنَسَمَةُ الْقَدِيرِ أَحْيَتْنِي.

أَنْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، فَهَلْ هُنَاكَ ذِكْرٌ لِلثَّلَاثِ أَقَانِيمِ مَعًا فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ؟ الْإِجَابَةُ نَعَمْ فَفِي (أشعياء 48: 16)

تَقَدَّمُوا إِلَيَّ. اسْمِعُوا هَذَا. لَمْ أَتَكَلَّمْ مِنَ الْبَدْءِ فِي الْخَفَاءِ. مُنْذُ وُجِدْتُهُ أَنَا ذُنُوبِي وَالْآنَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ أَرْسَلَنِي وَرُوحُهُ.

وأيضا في أشعياء 1: 61

رُوحُ الْمَسِيحِ الرَّبِّ عَلَيَّ لِأَنَّ الرَّبَّ مَسَحَنِي لِأُبَشِّرَ الْمَسْكِينِ أَرْسَلَنِي لِأُعْصِبَ مَنْ كَسِرَ الْقُلُوبَ لِأُنَادِيَ لِلْمَسْبِيِّينَ بِالْعِتْقِ وَلِلْمَأْسُورِينَ بِالْإِطْلَاقِ.

وهذا ما اقتبسسه المسيح حينما قرأ السفر في مجمع الناصرة في لوقا 4 ، قائلاً لسامعيه

«إِنَّهُ الْيَوْمَ قَدْ تَمَّ هَذَا الْكِتَابُ فِي مَسَامِعِكُمْ». (لوقا 4: 21)

وطبعاً ٥ يذكر العهد الجديد الثلاث أقانيم معاً فمثلاً:

(لوقا 1: 35) فَأَجَابَ الْمَلَاكُ: «الرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكَ وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تَظَلُّ لَكَ فَالذَّلِكَ أَيُّضاً الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكَ يُدْعَى ابْنُ الْمَلِكِ».

(لوقا 3: 22-23) وَلَمَّا اعْتَمَدَ جَمِيعُ الْمَشْرِعِ اعْتَمَدَ يَسُوعُ أَيُّضاً. وَإِذْ كَانَ يَصِلُ إِلَى أَنْفِجَتْ الْمَسَمَاءُ وَنَزَلَ عَلَيْهِ الرُّوحُ الْقُدُسُ بِهَيئَةٍ جَسَمِيَّةٍ مِثْلِ حَمَامَةٍ. وَكَانَ صَوْتٌ مِنَ الْمَسَمَاءِ قَائِلًا: «أَنْتَ ابْنُي الْحَبِيبُ بِكَ سُرَرْتُ!».

(متى 28: 19) فَادْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ.

(1كورنثوس 13: 14) ٥ نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ، وَمَحَبَّةُ الْمَلِكِ، وَشَرِكَةُ الرُّوحِ الْقُدُسِ مَعَ جَمِيعِكُمْ. آمِينَ.

و لكن هل قال الكتاب عن كل أقنوم أنه الله؟ نعم فالكتاب يعلن أن الآب هو الله

(1بطرس 1: 2) بِمُقْتَضَى عِلْمِ الْمَلِكِ الْمَسَابِقِ، فِي تَقْدِيسِ الرُّوحِ لِطَاعَةٍ، وَرَشِّ دَمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. لِتُكْتَرَلَ لَكُمْ النِّعْمَةُ وَالسَّلَامُ.

والابن هو الله

(عبرانيين 1: 8، 10) وَأَمَّا عَنْ الْمَابْنِ: «كُرْسِيُّكَ يَا إِلَهِي دَهْرَ الدَّهْرِ. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ».

والروح القدس هو الله

أعمال 5: 3، 4) فَقَالَ بَطْرُسُ: «يَا حَنَانِيَّ لِمَ إِذَا مَا لَمْ نَشْفِ الْمَشَّيْطَانَ قُلُوبَكَ لِتَكْذِبَ عَلَيَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ وَتَخْتَلِسَ مِنْ تَمَنِ

الْحَقُّ لِي؟ أَلَيْسَ وَهُوَ بَاقٍ لِي بَقَى لَكَ؟ وَلَمْ أَبِيعَ أَلَمْ يَكُنْ فِي سُلْطَانِكَ؟ فَمَا بِالْكَ وَضَعْتَ فِي قَلْبِكَ هَذَا الْمَأْمُرَ؟ أَنْتَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّاسِ بَلْ عَلَى اللَّهِ».

ولما يسعنا أمام جود هذا الإله العظيم الذي سرت مشيئته أن يعلن لنا ذاته، بل أن يعطينا نصيباً في مقاصده الأزلية في ابنه الحبيب،  
لأيسعنا إلماً أن نسجد، ونعبد مخبرين بأفضال نعمته.